طائفة من « الأعلام الجغرافية » في العراق

للأستاذ الدكتور إبراهيم السامرائي

لقد اخترت من الأعلام الجغرافية في العراق طائفة منها ذات الفائدة اللغوية والتاريخية ، وقد استبعدت منها الأعلام التي كثر درسها فعُرِفت في الموسوعات التاريخية ودوائر المعارف مثل « بغداد » . ولم أذكر من هذه « الأعلام » التاريخية إلا ما بقي معروفًا في عصرنا في تنظيمات العراق الإدارية .

وأبدأ هذه « الطائفة » بمدينة كردية عُرفت في التاريخ الإسلامي ووردت في الأخبار هي :

١ - إرْبِل :

قال أهل البلدان ومنهم ياقوت في «معجم البلدان» :

إرْبِل : وزان «إثْمِد» ، ولايجوز فتح الهمزة .

أقول : هذا هو ضبط هذه الحاضرة في التاريخ القديم ، ولكنها الآن «أربيل» وزان «أفعيل» وليس في العربية شيء من هذا .

وهي من «المحافظات الكردية» في شمالي العراق ، وفيها جامعة للآداب والعلوم . وهي في الألسن الدارجة قبل عدّة عقود من السنين «أرويل» بالواو دون الباء ، وهذا شيء من الإبدال يعرض للألسن الدارجة .

جاء في « معجم البلدان » :

إرْبِل : قلعة حصينة ومدينة كبيرة في فضاء من الأرض واسع بسيط ، ولقلعتها خندق .

أقول : وهي في حاضرنا مدينة فسيحة في فضاء من الأرض قد تخلّى عن القلعة التي لم يبق منها إلا معالم دارسة .

ألقى هذا البحث في الجلسة الثانية عشرة من مؤتمر المجمع بتاريخ ٩ من ذي القعدة سنة ١٤١٥ هـ الموافق ٩ من أبريل (نيسان) سنة ١٩٩٥ م

وقد نُسب إليها جماعة من أهل العلم والحديث منهم أبو أحمد القاسم بن المظفَّر الشهر زورى الشيبانى الإربِلى .

وقد صنّف فى « تاريخ إربل » ابن المستوفى كتابه الشهير . وقد طبع هذا فى العراق وكان من مطبوعات وزارة الثقافة والإعلام منذ ما يقرب من ربع قرن ، حققه وقدّم له الأستاذ الدكتور سامى الصقّار .

ومن المفيد أن أشير إلى ما قاله فى «إربل» أنوشروان البغدادى المعروف بـ «شيطان العراق الضرير» .

تَبًّا لشيطانى وماسَوَّلا
لأنّه أنزَلنى « إربلا »
نزَلتُها فى يوم نَحْسٍ فما
شككتُ أنى نازل «كربلا»

أقول : و«كربلا» فى البيت الثانى هى « كربك » المدينة التى شهدت معركة الطَّفِّ ، وقُتل فيها أبو عبد الله الحسين بن على بن أبى طالب - رضى الله عنه - وسيأتى الكلام عنها .

٢ - الإسكندرية :

بليدة صغيرة من «محافظة بابل» .

قال ياقوت : قرية على دجلة بإزاء الجامدة بينها وبين واسط خمسة عشرفرسخاً .

أقول : هى فى عصرنا على غير ماذكره ياقوت من كونها على دجلة ؛ لأنها كما أشرنا من «محافظة بابل» فهى على الفرات .

أقول : لعلَّ الذى ذكره ياقوت هو قرية على دجلة ذهبت معالمها ، فجدّت فى عصرنا قرية أخرى على الفرات ، أو قد نحمل ذلك على سهو من ياقوت على ما عُرف من ضبطه والتزامه .

وليس لنا من علم فى سبب التسمية ونسبتها إلى الإسكندر المكدونى .

والذى يقوّى كون القرية على الفرات فى «بابل» علمنا أن الإسكندر قد وصل إلى بابل، والتاريخ معروف .

٣ - آلوس :

قرية على الفرات قرب عانات والحديثة كما قال ياقوت فى «معجم البلدان» .

وقد تقال بمدّ الهمزة «آلوس» ، وهى بهذا النطق فى عصرنا .

قال ياقوت : وإليها يُنسب المؤيّد الألوسى الشاعر المتوفىّ سنة ٧٥٥٧ .

ذكره العماد فى «الخريدة» قسم العراق .

أقول : وقد نُسب إليها جمهرةٌ من أهل العلم فى عصرنا كان منهم أبو الثناء الألوسى صاحب التفسير المشهور ، والسيد محمود شكرى الألوسى صاحب «بلوغ الأرب» ، والسيد نعمان خير الدين ، ترجم لهؤلاء الثلاثة وغيرهم الأستاذ خير الدين الزركلى فى «الأعلام» .

٤ - الأنبار :

قال ياقوت : قال أبو القاسم :

«الأنبار» : حدّ بابل ، سُمّيَت بذلك لأنه كان يُجمَع بها أنابير الحنطة والشعير والقَت والتبن . وكان يقال لها الأهراء .

قال الأزهرى : واحد الأنبار «نِبرٌ» ، وجمع الجمع « أنابير» .

فتحها خالد بن الوليد سنة ١٢ للهجرة أيام الخليفة أبى بكر الصّديق - رضى الله عنه -.

أقول : و« الأنبار» فى عصرنا محافظة على الفرات الأوسط تتبعها نواحٍ عدّة وتنظيمات إدارية .

وقد نُسب إلى « الأنبار » طائفةٌ كبيرة فيهم اللغويون والنحويون والمحدثون والشعراء وغيرهم . والنسبة إلى الجمع «أنبارىّ» .

ويرى الفرس أن «الأنبار» كلمة استعارها العرب وتوهّموا فى صيغتها الجمع .

جاء فى «المعجمات » الفارسية أن :

« أنبار» بمعنى «امتلاء» أو « مايبرزه الإنسان» أو مايكون من ذلك من الحيوان الذى يُتّخذ سماداً أو مخزن الغِلال والتبن والعَلف» .

أقول : ويكاد يتفق ماجاء فى المعجمات العربية وماجاء فى المعجمات الفارسية ، وليس القطع فى الأمر ممكنًا .

وفى الألسن الدارجة تحوّل «أنبار» إلى «عَنْبَر» و «عُمْبار» بمعنى «المخزن» للبضائع والغِلال .

٥ - بابل :

جاء فى«معجم البلدان» .

بابل اسمُ ناحيةٍ فيها الكوفة والحلّة يُنسَب إليها السِّحْر ، قال تعالى : « وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت» ١٠٢ سورة البقرة .

قيل : بابل العراق ، وقيل : بابل دُنبا وَنْد .

وقيل : لما حَشَرَ الله الخلائق إلى بابل بعث إليهم ريحًا فحشرتهم واجتمعوا ببابل . فقام يعرُب بن قحطان ، أوّل من تكلمَّ بالعربية ، ولم يزل المنادى ينادى : من فَعَل كذا وكذا فله كذا وكذا ، حتى افترقوا على اثنين وسبعين لساناً ، وانقطع الصوت ، وتبَلْبَلت الألسن فسُمِّيت «بابل » .

أقول : انتهى ما أثبته ياقوت فى «معجمه» ولكنّنا فى هذا العصر ندرك ما وصل إليه أهل التنقيب فى الحضارات القديمة . وقد بدأ هؤلاء درسهم الجادّ منذ أوائل القرن التاسع عشر ، فعرفوا اللغة البابلية الآشورية ، وقرأوا النقوش فى الألواح ، وعلى النصب والتماثيل ، وعرفوا شريعة حمورابى التى سبقت التاريخ المسيحى بعشرات من القرون ، واكتشفوا مكتبة آشور بانيبال . وكان من جملة ذلك فوائد تاريخية وحضارية تتجاوز هذا الذى كان للعرب مما أورده ياقوت .

ومن هذا عرفنا أن « بابل » لاصلة لها بما يعنيه المصدر « بَلبلَة » الذى يفيد التّفرّق

إن « بابل » تعنى « باب إيل » أى باب الإله [1] .

ولكن العرب حرَّفوا الاسم إلى بناء «فاعل» فكان من ذلك المعنى الذى وصلوا إليه من « البلبلة » .

أقول : وقد سَمّى العرب فى حاضرهم وماضيهم (بابل) فى أعلام الذكور ، ولكن للنصارى من العرب اتصال بالسريانية التى عُرف فيها « بابل » فرجعوا إلى الأصل وهو «باب إيل» فكان من أعلامهم « بابيل» ، وهذه الصيغة « فاعيل » هى بناء اسم الفاعل فى هذه اللغة .

وبهذه اللغة ورد فى الأثر «قابيل وهابيل» ابنى آدَم - عليه السلام .

ومن هنا كان من أسماء النصارى «ناصيف» ، وهو لدى المسلمين «ناصف» ، وغير هذا .

و «بابل» القديمة فى عصرنا موقع أثرى يشتمل على بقايا الحفائر التى قام بها العلماء المنقبون فى القرن الماضى ثم ما كان منها فى هذا القرن . وقد شارك فى تلك الأعمال علماء من الألمان والفرنسيين والإنكليز ثم خلفهم العراقيون .

---

(١) أقول : من هذا أيضاً إسرافيل ، وعزرائيل وميكائيل . و « جبرائيل » و « وجَبْر » وجَبْرا فى العربية والسريانية تعنى « الرجل » . وكذلك فى العبرانية (جِبِر) .

و « بابل » الحديثة اسم محافظة كبيرة مركزها الرئيسى مدينة الحلّة التى سنعرض لها. إن إطلاق اسم بابل على المحافظة بجملتها كان منذ سنين قليلة .

٦ - باجسرا:

قال ياقوت : باجسرا بليدة فى شرقىّ بغداد بينها وبين حلوان على عشرة فراسخ من بغداد .

خرج منها جماعة من أهل العلم والرواية منهم أبو القاسم عبد الغنى بن محمد بن خليفة الباجسراوى ، وكان صالحاً ، له شعر حسن ورغبة فى الأدب ، توفى سنة ٥٣١ هـ .

أقول : والذى نعرفه عن هذه البليدة أنها الآن « أبو جِسْره » . ولابد لنا أن نقول أن الاسم الحالى « أبوجسره » هو الاسم القديم «باجسرا » ، والعامة فى كل عصر تذهب فى الأسماء إلى شىء آخر .

إن « باجسرا » موضع قديم يحمل الأصل السريانى ، فإن « با » تعنى « بيت » ، وهذا اللفظ الذى اجتُزِئَ به عن « بيت » معروف فى أسماء المواضع والبلدان فى البلاد التى عرفت التراث الآرامى فى بلاد ما بين النهرين وبلاد الشام مثل : باخمرا ، وباصيدا ، وباعشيقا ، وغيرها .

ولما عُرِّبت هذه المواضع ذهبت كلمة « با » التى هى « بيت » [1] وتحوّلت إلى حرف الباء فى صدر هذه الأسماء نحو : بعشيقه وبحمدون، وحذفت فى أسماء أخرى فقالوا صيدا وسُورا وغيرهما .

وأما الألف فى آخر هذه الأسماء فهى الألف المعروفة فى نهايات الأسماء الآرامية التى تشير إلى أداة التعريف الآرامية ثم فقدت وظيفتها هذه، وبقيت علامة فى آخر الأسماء . وقد ذهبت الألف واكتُفى بالفتحة مع هاءٍ للتأنيث .

---

(١) من المفيد أن أشير إلى أن « با » تتصدر طائفة من الأعلام اليمنية ، وهو شىء ورثته اللغة اليمنية فيما ورثته من خصائص لغوية قديمة . إن « با » هذه فى الأعلام : باحسين ، باأحمد ، بابكر وغيرها هى «أبو» ، ولكنها فى لغة اليمن لزمت الألف دائماً وهذا نجده فى الشاهد القديم .

واهًا لسلمىَ ثم واهًا واها فليتَ عيناها لنا وفاها
إن أباها وأباها أباها قد بَلَغا فى المجد غايتاها

والرجز شاهد أيضًا فى التزام المثنى بالألف .

ولى أن ألحق بهذا « الباء » فى الأعلام القديمة اليمنية نحو : بلحارث ، وبالهجيم ، وَبلْعَنبر وغيرها من أسماء القبائل . وهذه الباء هى اجتزاء من « تنبوُ أو بنى » .

٧ - باحزانى :

بليدة صغيرة فى أرض جبلية من نواحى الموصل فى العراق . أهلها أكراد أشداء يعتنقون «اليزيدية » مذهبًا ، وهم أهل مذهب باطنى يعبدون الشيطان ، وبينهم نصارى يدل عليهم هذا الاسم للمكان « باحزانى » . إنه نظير الأسماء القديمة العراقية التى تدلّ على التأثير الآرامى ، كما أشرنا فى « باجسرا » .

ولكن هذا الاسم قد خُتم بالياء على خلاف تلك الأسماء ، وهذا يعود إلى أن الآراميين السريان فى بلاد العراق نساطرة لهم خصوصية لغوية فيها مجئ الياء[1] قد تقول : ولِمَ جاءت الألف فيِ الأسماء الأخرى ؟ والجواب أن تلك الأسماء قد غلب عليها الطابع الآرامى . ولم يرد اسم « باحزانى » فى معجم ياقوت .

٨ - بادَرَايا :

جاء فى « معجم البلدان » :

أنها طَسّوج بالنهروان أو بليدة بقرب باكسايا بين البَنْدنيجَيْن ونواحى واسط . منها يكون التمر القَسْب اليابس الغاية فى الجودة .

أقول : هى فى عصرنا « بَدْرة » وأغلب أهلها من الأكراد الفيلية الشيعة فى الحدود الشرقية جنوبىّ بغداد بما يقرب من مئتى كيلو متر .

أقول : والاسم يشير إلى الأصل الآرامى وهى «با» التى تعنى « البيت » و « دَرايا » بمعنى « الديار » أو المنازل .

وما زال هذا الاسم « بيدْرايا » يطلق على التمر القَسْب الذى يؤتَى به منها .

٩ - باعشيقا :

جاء فى « معجم البلدان » أنها من قرى الموصل من نواحى نَيْنَوَى فى شرقىّ دجلة لها نهر جارٍ . أقول : هى فى عصرنا « بَعْشيقه » ، وهى من القرى التى يسكنها يزيديوّن كما ذكرنا فى « باحزانى » ، وهم أكراد غلاظ شداد . وفيها نصارى نساطرة .

ويعنى الاسم « باعشيقا » بيت أصحاب العمل أى الزرّاع الفلاحين ، وأرضها خصبة يزرع فيها القمح والحبوب ، وفيها الشجر كالجوز وغيره .

---

(١) يدلّ على ميل النساطرة إلى الياء ما عُرف فى أعلامهم « مَتّى » بالياء ، وهو « مَتَّى » فى السريانية الغربية ومنه « مار متىّ » صاحب « إنجيل متىّ » ، وكذلك « أدَى » ومنه « أدّى شير » رئيس أساقفة سِعِرْد ، وهو الكلدانى الآشورى .

١٠ - باعقوبا :

جاء فى « معجم البلدان » : قرية بأعلى النهروان ، وقال : وظنّى أنها غير بعقوبا القرية المشهورة على عشرة فراسخ من بغداد .

أقول : قد يكون ماظنّه صحيحًا ، ولكن الذى يهمّنى أنها بليدة ذات صيغة سريانية صُدِّرت بـ « با » وقد تكلمنا على ذلك . وهى فى عصرنا مركز محافظة « ديالَى » وكأنها «بيت يعقوب » ونهر يعقوبا الأعظم «النهروان» وهو نهر كبير بقرب بغداد ، وهو الحدّ بين طريق خراسان والخالص ، وهو نهر تامرّا بعينه .

١١ - باكسايا :

جاء فى « معجم البلدان » : أنها بلدة قرب البُنْدَنيجَيْن وبادرايا بين بغداد وواسط فى الجانب الشرقى فى أقصى النهروان وإليها ينسَب أبو محمد عباس بن عبدالله بن أبى عيسى الباكسائى يُعرَف بـ « الترقفى » أحد أئمة الحديث توفى سنة ٢٦٨ هـ .

أقول : إن « باكسايا » قرية صغيرة إلى أقصى الجنوب من بغداد فى الجانب الشرقىّ تقرب من مدينة العمارة فى محافظة مَيْسان ، لا يحُسَب لها حساب فى التنظيمات الإدارية فى عصرنا .

والاسم يشير إلى أن أهل باكسايا التى أوردها ياقوت فى معجمه آراميون نصارى قبل أن يتمّ فتحها على أيدى المسلمين فى «فتوح العراق » .

١٢ - بَرَاثا :

جاء فى « معجم البلدان » :

بَراثا محلة فى طرف بغداد فى قبلة الكرخ وجنوبىّ باب محوّل ، وكان لها جامع مفرد تصلّى فيه الشيعة ، وقد خُرِّب عن آخره ، وكذلك المحلة . . .

وفى سنة ٣٢٩ فُرِغ من جامع بَراثا وأقيمت فيه الخطبة ، وكان قبلُ ومسجداً يجتمع فيه قوم من الشيعة يسبّون الصحابة ، فكَبسَه الراضى بالله وأخذ من وَجَده فيه وحبسهم وهدمه حتى ساوَى به الأرض .

ويزعمون أن عليًا مرّ بها لما خرج لقتال الحرورية بالنهروان ، وصلّى فى موضع من الجامع المذكور .

أقول : ولم يبق فى عصرنا إلا ما أثبته الخِططيّون ومنهم الدكتور مصطفى جواد من موضع الجامع فأعيد بناؤه جامعًا ومسجداً للشيعة تقام فيه احتفالات دينية خاصة .

والاسم يحمل الصورة الآرامية شأنه شأن المواضع والحواضر العراقية التى خُتمت بالألف كما سنرى .

و « بَراثا » تومئ إلى « البَـرْث » فى العربية وهو الأرض السهلة اللينة .

١٣ - البصرة :

أقول : لم أرد أن أجعل « البصرة » فى عدّة أسماء الحواضر فى هذا الموجز ، وذلك لأنها مادة واسعة عُنى بها الأقدمون وأهل هذا العصر من عرب وغيرهم من العلماء الغربيين . غير أنى أدرجتها لأقول :

إن أهل البلدان الأقدمين ومعهم اللغويون قد توسّعوا على طرائقهم فى ردّ الأسماء القديمة إلى مادة فى العربية فتعسّفوا وخانهم الدرس .

إنك تجدهم فى « البصرة » كما تجدهم فى الكوفة ذهبوا إلى أن البصرة حجارة غليظة كما قال الأنبارى أبو بكر ، وكما قال قطرُب اللغوى المعروف . وقال غيرهما : حجارة رخوة فيها بياض ، وقالوا : فيها الحصى . وقالوا: أرض تسوخ فيها القدم .....

أقول : لعل « البصرة » التى مصّرها المسلمون بعد الفتح هى اسم قديم هو « بَصرا » العلم الذى وقفنا على نظائره فى حواضر العراق وبلاد الشام .

وقد حوّل العرب فى نطقهم الفتح الطويل فى آخر الاسم إلى علامة للتأنيث هى هاء التأنيث فكانت « بصرة » كما كانت «كوفة» التى سيجىء الكلام عنها .

وقال ياقوت :

وفى اصطلاح أهل البصرة أن يزيدوا فى اسم الرجل الذى تُنسب إليه القرية ألفًا ونونًا نحو « طَلْحَتان » وهو نهر يُنسَب إلى طلحة بن أبى رافع مولى طلحة بن عبيد الله . و«خِيرتان» نهر منسوب إلى خيرة بنت ضَمرة القُشَيرية امرأة المهلَّب بن أبى صفرة . و«مُهَلَّبان» : نهر منسوب إلى المهلَّب بن أبى صفرة ، وغير هذا .

أقول : وفى هذا شىء آخر ذكره البلاذرى فى كلامه على البصرة فى « البلدان » [1] . ولنا أن نعود إلى عصرنا فنجد فى حاضر

---

(١) انظر « البلدان » للبلاذرى ص، ٣٤٦، ٣٧٢ . وقال ياقوت : قال البلاذرى : « عبَّادان » قطيعة لحُمران بن أبان مولى عثمان بن عفان . وقال : قال ابن الكلبىّ : أوّل من رابط بعبّادان عَبّاد بن الحصين فنُسبت إليه . ومن هذا : « أميتان » نسبة إلى أبى أمية ، « وجعفَران » نسبة إلى أم جعفر ، ومثله « خالدان » وغيرها . وانظر : Grundiss der iranischen philologie 12, 176, Nöldeke LA 12,183

البصرة فى بليدة من أعمالها تُسَمىّ أبا الخصيب شيئًا من هذا منه : « يُوسفان » لقطيعة ، ونهر لابدّ أن يكون منسوبًا إلى أحد من الأوائل يدعى « يوسف » ، كما نجد «مهيجْران » ولعلها « مُهاجران » وتحوّلت إلى ما تحوّلت إليه فى اللغة الدارجة ، ولابد أن يكون صاحب هذه النسبة أحداً اسمه « مُهاجر » .

كما نجد موضعاً فى هذه البليدة يُدعى «باب سليمان» ، ولعلهّ « باب سَلْمانان »

والبصرة اليوم محافظة واسعة تتبعها حواضر وقرى عدة [1] يجرى فيها نهر صغير يُدعَى « نهر العشّار » ، ولعل العشّارى من الشعراء المتأخرين منسو ب إلى النهر أو أنه منسو ب إلى آخر كان « عشّاراً » أى يستوفى العُشور . و « أبو الخصيب» هى « يَلَخْصيب» فى نطق العامّة .

١٤ - البَنْدَنَيْجَيْن :

قال ياقوت : لفظه لفظ التثنية ، ولا أدرى أن « بَنْدَنَيجْ » مفردة .

قال حمزة : هو بناحية موضع يُسمَّى «وَندْنيكان » وعُرِّب على « البَنْدَنَيْجَيْن » ، ولم يفسِّر معناه . بلدة مشهورة فى طرَف النهروان من ناحية الجبل ، من أعمال بغداد وقال ياقوت أيضًا :

وحدَّثنى العماد بن كامل البَنْدَنَيْجّى الفقيه قال : البَنْدَنَيْجَيْن اسم يطلق على عدة محالّ متصلة ، وأكبر محلة فيها يقال لها «باقطنايا»، وبها سوق ودار للإمارة ومنزل القاضى ، ثم بُوَيقيا ، ثم سوق جميل ، ثم فِلشْتُ ، وقد خرج منها خلق من العلماء : محدّثون وشعراء وفقهاء وكتّاب .

أقول : وقال أهل الدرس فى عصرنا الباحثون فى « الخطط » :

أن « البَنْدَنَيْجَيْن » هذه هى «خانِقين» التى أوردها ياقوت فى « معجمه» بكسر النون بعدها قاف . وقال : هى بلدة من نواحى السواد فى طريق هَمَذان من بغداد بينها وبين «قَصْر شيرين» ستة فراسخ لمن يريد الجبال .

أقول أيضاً : « خانِقين » فى عصرنا ، بفتح النون ، كما أوردها ياقوت ، وكذلك «قصر شيرين»، والأولى عراقية ، والثانية إيرانية . والعامة تقول : « خانجْين » ، وهى «خانه كَين » فى اللغة الفارسية بمعنى «الأرض التى يُنْزَل فيها » .

---

(١) اتسعت رقعة التنظيمات فى البصرة فشملت جهات فى الخليج ، وشبه الجزيرة ، ومنها « دُبَّى » وغيرها .

فهل نرى من وجه لنصل بين «البَنْدَنَيْجَنْ» و « خانِقين » ؟ ما أرى شيئاً فى هذا .

١٥ - تكريت :

قال ياقوت : هى بفتح التاء والعامّة يكسرونها ، بلدة بين بغداد والموصل ، وهى إلى بغداد أقرب ، بينها وبين بغداد ثلاثون فرسخاً . ولها قلعة حصينة فى طرفها القبلى ، راكبة على دجلة ، وهى غربى دجلة . وكان أوّل من بنى هذه القلعة سابور بن أرد شير بن بابك لما نزل الهَدّ ، وهو بلد مقابل تكريت فى البرّيّة.

قال عبيد الله بن الحرّ ، وكان قد وقع بينه وبين أصحاب مصعب وقعة بتكريت قُتِل بها أكثر أصحابه ونجا بنفسه فقال فى أبيات :

فإنْ تَكُ خيلى يومَ تَكريتَ أحجَمَتْ

وقُتِّل فرسانى ، فما كنتُ دانيا

وقد فتحها المسلمون فى عهد عمر سنة ١٦ هـ . أرسل إليها سعد بن أبى وقّاص جيشاً عليه عبد الله بن المعتم فحارب أهلها حتى فتحها عنوةً . نُسب إليها جماعة من أهل العلم .

أقول : وقد ورد فى المصادر النصرانية أن أهلها كانوا نصارى ، وقد عرفنا من أولئك النصارى أنطون التكريتى ، وله مصنَّفات فى الثقافة السريانية .

وعُرف أن صلاح الدين بن أيوب قد ولد فيها .

وكانت تكريت فى عصرنا هذا بليدة صغيرة تابعة لقضاء سامَرّا وهى وسامَرّا تابعتان إداريًا لبغداد العاصمة .

ولما قامت ثورة السابع عشر من تموّز سنة ١٩٦٨ م رأت الحكومة أن تجعل «تكريت» مركز محافظة فَفُصِلت عن كونها تتبع سامرّا ، ثم جعلت سامَرّا تتبع تكريت فى شؤونها الإدارية .

وهكذا تتبدّل الحال ، فتكون سامرّا التى كانت عاصمة العباسيين طوال نصف قرن من أعمال تكريت ولكل زمان رأي وحكم ونظام .

قلتُ : صارت تكريت فى عهد الثورة مركز محافظة صلاح الدين يكون فيها سامَرّا والدور وغيرهما ويها الآن جامعة للآداب والعلوم .

وقد ورد اسم تكريت فى النقوش الآشورية بالخط المسمارى ، فهى على هذا من المراكز القديمة .

١٦ - تلّ أعفر :

أقول : هذا هو الاسم فى كتب البلدان ، وقد رُكِّبَت هاتان الكلمتان لدلالتهما على بليدة معروفة فكانت « تَلّعْفَر » .

قال ياقوت : هكذا تقول عامّة الناس [أى تلّ أعفَر] ، وأما خواصُّهم فيقولون : « تّل يَعْفَر » ، وأصله التلّ الأعفر ، وهو اسم قلعة ورَبَض بين سنجار والموصل . فيها نهر جارٍ ، وهى على جَبَل منفرد . وإليها نُسبَ الشاعر التَّلّعْفَرىّ موسى بن أبى من الذين مدحوا الملك الأشرف .

أقول : وهذه البليدة تتبع الموصل .

١٧ - الحديثة :

الحديثة القديمة هى التى دعاها ياقوت «حديثة الفرات » ، قال :

هى على فراسخ من الأنبار ، وفيها قلعة حصينة فى وسط الفرات ، والماء يحيط بها ، دخلها المسلمون فى خلافة عمر . نُسب إليها جماعة من الرجال من المحدّثين وغيرهم كما أشار الخطيب فى « تاريخ بغداد » .

أقول : وهى فى عصرنا بليدة صغيرة على الفرات الأوسط من أعمال محافظة «الأنبار» .

١٨ - الحَضَر :

جاء فى « معجم البلدان : أن « الحَضْر » اسم مدينة بإزاء تكريت فى البرية ، بينها وبين الموصل والفرات . وهى مبنيّة بالحجارة المهندمة بيوتها وسقوفها وأبوابها . كان فيها ستّون برجاً كباراً ، وبين البرج والبرج تسعة أبراج صغار ، بإزاء كل برج قَصْر وإلى جانبه حمّام .

ومرَّ بها نهر الشرثار ، وكان نهراً عظيماً عليه قرًى وجنان .

وقال الشرقىّ بن القطامى : لما افترقت قضاعة سارت فرقة منهم إلى أرض الجزيرة ، وعليهم ملك يقال له الضَّيْزَن بن معاوية ... وكان فيما زعموا ملك الجزيرة كلها إلى الشام فنزلَ مدينة « الحَضْر » .

أقول : إنها مدينة ظاهرة آثارها أقبل

عليها الدارسون العراقيون ومنهم فؤاد سَفَر وكتب عنها وأشار إلى أن أهل « الحَضَر » بفتحتين عَرَب ، وملكهم « سَنَطْرُق» غير أن المشاهد العارف بفنون العمارة القديمة يدرك وهو يشاهد الحضر أن هذه الأبنية ذات عمارة رومانية فى حجارتها ونقوشها ، وفن التماثيل القائمة ولاسيما ما كان منها للمرأة . ثم إنه يدرك أن هذه الآثار تشبه آثار « بُصْرى وإبلا» فى بلاد الشام ، كما أنها تشبه ما هو معروف من نظائرها فى « البتراء » فى الأردن . إنه الفن الرومانى فى الأبنية فى أقواسها وعقوها ، وتماثيل الآدميين الدقيقة فى إبراز الصورة البشرية .

إنّ « الحضر » مدينة عراقية كانت تعرف باسم حطارا ، عرفت أطلالها وسط بادية ما بين دجلة والفرات المعروفة بـ « الجزيرة » على بعد ثلاثة كيلو مترات من وادى الثرثار ، وعلى مسافة ٦٠ كيلو متراً من قلعة شرفاط .

ثم إن لغة نقوش الحجر فى حروفها الآرامية ودلالاتها لا يمكن أن تكون عربية ، وأهلها عرب كما ذهب الأستاذ فؤاد سفر ، وإن « سَنَطْرُق » من غير الأعلام التى نعرفها فى العربية .

وإذا كان فى النقوش اسم « سَنَطْرُق ملك العرب فهذا لا يبعد عن ورود « العرب أو العربان » فى الآثار البابلية . وقد يعنى هذا أن كلمة « عرب وعُربان » أطلقها أولئك الأقوام على القادمين من بلاد العرب « أى شبه جزيرة العرب » .

ويؤيد هذا أن لغة النقوش آرامية برسومها ومعانيها ، فلابد أن يكون أهلها آراميين عاشوا فى منتصف القرن الأول للميلاد .

ثم إن التشابه فى الآثار والخصائص الفنية بين آثار الحضر ونظائرها فى بلاد الشام والأردن ليشير أن هذه محطّات رومانية أقامها الرومان مع أهل البلاد حماية لإمبراطوريتهم حين كان لها توسّع وامتداد فى الشرق .

١٩ - الحِلّة :

قال ياقوت : هى فى اللغة القوم «النُّزُول» .

وهى عدّة مواضع أشهرها «حِلة بنى مَزْيَد» ، مدينة كبيرة بين الكوفة وبغداد كانت تُسَمَّى « الجامعَيْن » .

وكان أول من عَمرَها سيف الدولة صَدَقة ابن منصور بن دُبَيْس بن على بن مَزْيَد الأسدى سنة ٤٩٥ هـ .

أقول : هى « الحِلّة » فى عصرنا مركز محافظة بابل ، وقد مّر الكلام عليها . ولم يكن اسم بابل هو الشامل العام لهذه الجهة بما فيها « الحلة » وحواضر صغيرة أخرى إلا بعد إصلاح التنظيمات الإدارية فى عهد ثورة تموز الثانية .

أقول : خرج من الحلة جمهرة من أهل العلم والأدب ، ومنهم الشاعر صفى الدين الحلى ، والمحقّق الحلى من كبار رجال الشيعة، وشعراء آخرون فى القرون المتأخرة اشتهر من بينهم السيد حيدر الحلى فى القرن الماضى .

وهى اليوم مدينة عامرة كثيرة النفوس يمر فيها الفرات ، وهى ذات زرع ونخيل .

٢٠ - حمّام علىّ :

بليدة تتبع الموصل صغيرة . قال ياقوت : إنها بين الموصل وجهينة قرب عين القار ، غربىّ دجلة ، وهى عينٌ ماؤها حارّ كبريتى .....

أقول : يقصدها الناس للاستحمام والعلاج .

٢١ - الحُوَيْزة :

جاء فى « معجم البلدان » : أن الحُوَيْزة موضع حازه دُبَيْس بن عفيف الأسدىّ أيام الطائع لله ، ونزل فيه بحِلّته ، وبنى فيه أبنية . وليس هذا بدُبَيْس بن مَزْيَد الذى بنى « الحِلّة» بالجامعَيْن ، ولكنه أسدىّ أيضاً .

وهذا الموضع بين واسط والبصرة وخُوزستان فى وسط البطائح .

نُسِب إلى الحُوَيْزة قوم منهم عبد الله بن حسن بن إدريس الحُوَيْزى من أهل الحديث .

أقول : وقد أورد الخاقانى فى « شعراء العراق » غير واحد من الشعراء المتأخرين اشتهروا بـ « الحويزىّ » .

أقول أيضاً : إن « الحُوَيْزة » قرية حدودية بين جنوبى العراق وإيران على قرب من « الهور الكبير » الذى يُعرف بـ « هور الحُوَيْزة » إلى الجنوب الشرقى من مدينة العِمارة مركز محافظة « مَيْسان » . وهى منطقة كثر فيها النزاع والحرب بين العراق وإيران منذ عصور عدّة ، ومازال هذا إلى اليوم .

٢٢ - الحِـيرة :

قال ياقوت : هى مدينة كانت على ثلاثة أميال من الكوفة ، يقال له « النَّجَف » ، زعموا أن بحر فارس [١] كان يتصل به . وبالحيرة « الخَوَرْنَق والسدير » ، مسكن ملوك العرب فى الجاهلية من زَمن نَصر من لخم النعمان وآبائه ، والنسبة إليها « حارىّ » على غير قياس .

أقول : و « الحيرة » اليوم بليدة صغيرة من أعمال محافظة « الديوانية » على الفرات الأوسط ، وهى منطقة زرع وفلاحة ونخيل .

٢٣ - الخابور :

قال ياقوت : الخابور من أرضٍ « خَبْرةٍ » وخَبْراء ، وهو القاع الذى ينبت السَّدْر . و«الخَبار» : الأرض الرخوة ذات الحجارة .

و « الخابوراء » : اسم موضع لعلّ نهر الخابور يمر فيه .

و « الخابور » : نهر كبير بين رأس عين والفرات من أرض الجزيرة .

أقول : إن نهر الخابور يمر - فى جزء من أعلاه - بأرض الجزيرة من بلاد الشام ، ويدخل العراق ، وعلى ضفافه فى العراق قرًى ومواضع منها « فيش خابور » بليدة أهلها أكراد .

٢٤ - الخالص :

قال ياقوت : اسم كورة عظيمة من شرقى بغداد إلى سور بغداد .

أقول : وهو الآن بليدة فى محافظة «دَيالا» [٢] ، يمرّ فيها نهير صغير هو نهر الخالص وهى منطقة فلاحة وبساتين فاكهة ونخيل .

٢٥ - خانِقين :

انظر « البَنْدَنيجَيْن » .

٢٦ - الدُّور :

قال ياقوت : الدُّور سبعة مواضع بأرض العراق من نواحى بغداد ، أحدها « دُور »

---

(١) أقول : إن تسمية « بحر فارس » ترد فى كتب البلدان العربية الجغرافية كما وردت فى « كتاب العين » للخليل . وهذه هى التى تُدعى فى عصرنا « الخليج العربى » وفيه بلاد عدّة معروفة . والتسمية القديمة مأخوذة ومستوحاة من عصور الإمبراطورية الإيرانية التى تفسّحت فى هذه البلاد العربية . وأذكر وأنا طالب فى الإعدادية كنا نطلق مصطلح « خليج البصرة » على هذا « الخليج الكبير » .

(٢) أقول : ديالى ، محافظة ونهر فى عصرنا ، وأرى أنها كلمة تحمل ما يومئ إلى أصل سريانى ، ولكنى لم أجده فى المعجمات السريانية ، ولا فى العبرانية .

تكريت وهو بين سامَرّا وتكريت ، والثانى بين سامَرّا وتكريت أيضًا يُعرف بـ «دور عربايى» .

أقول : إن « دور عَربايى » يشير إلى التسمية السريانية ، ويعنى هذا أن أهلها عرب وآراميون .

وأقول : هذا هو الذى يهمنى من «الدُّور» التى هى مواطن إقامة حضرية فى العراق ، وأما ما بقى منها فهى خارج العراق .

و « الدُّور» الأولى كانت قرية تتبع سامرّا ، ثم اتّسعت حالها بعد ثورة تموز فساوت سامرّا فى درجتها الإدارية .

وقد خرج كثيرون من « الدور» هذه فى عصور ماضية ونُسبوا إليها ومنهم أبو عمر حفص ابن عمر الدورىّ ترجم له ابن الجزَرىّ فى طبقات القراء ١/ ٢٥٥ وغير هذا كثير .

أقول أيضًا : وهى الآن فى النطق السائد « دُور » كما نقول « صُوت » فى الألسن الدارجة ، ولكنّ النسب إليها كما هو فى فصيح العربية « دُورىّ » .

٢٧ - ذى قار :

أقول : هذا موضع قديم هو « ذو قار » ولكن المعاصرين أغفلوا وجه الاسم فلزم الياء فى كل الأحوال . وهذا الاسم لمحافظة كبيرة تقع على ضفتى الفرات الأسفل تشتمل على حواضَر وقرًى ، مركزها « الناصريّة » مدينة واسعة أسسها ناصر باشا السعدون فى العهد العثمانى المتأخر .

و« ذوقار » فى مصادر التاريخ والأدب ماء لبكر بن وائل قريب من الكوفة بينها وبين واسط .

وحديث ذى قار مع كسرى والنعمان ابن المنذر قد ورد فى كتب التاريخ القديم الذى كان منه وقعة ذى قار المشهورة التى انتصر فيها العرب على الفرس .

وقيل بصدد هذه الوقعة إنها كانت يوم ولادة الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم - وقد أشار إليها أبو تمام فى قصيدته التى مدح بها أبا دُلَف العجلىّ .

٢٨ - زاخُو :

بليدة فى أقصى شمالى العراق منها يدخل

القاصد إلى الأراضى التركية ، أهلها أكراد مسلمون وبينهم نصارى ، ولعلّها من «زاخا» السريانية بمعنى «النظافة والصفاء» .

٢٩ - سامرّا :

جاء فى « معجم البلدان » أنها سامَرّا بالقصر ، وسامَرّاء بالمدّ ، وسُرَّ مَن رَأ ، وسُرَّ مَن راء ، وقد ورد هذا كله فى الشعر .

قال البحترى :

وأرى المطايا لا قصور بها
عن ليل سامَرّاءَ تذرَعُهُ

وقال الحسين بن الضحّاك :

سُرَّ مَن را أسَرُّ من بغدادِ
فالهُ عن بعض ذكرها المعتادِ

وقال البحترى :

لأرحَلَنَّ وآمالى مطرَّحة
بسُرَّ مَن راءَ مُسْتَبْطًى لها القَدَرُ

وهى مدينة بين بغداد وتكريت ، شرقىّ دجلة .

قال أبو سعد : سامرّاء بلد على درجةٍ فوق بغداد بثلاثين فرسخاً يقال لها «سُرَّ من رأى» ، فخفَّفها الناس وقالوا : سامرّا .

أقول : وهى مدينة مازالت فيها آثار العباسيين والمئذنة الملويّة ، ودار الخلافة وبقية أطلال القصور . وإلى جوار هذه بقايا خطة المدينة القديمة فى شوارعها وطرقها .

وهذه مجاورة للمدينة الحديثة التى فيها الإمام على الهادى والإمام حسن العسكرى ، وموضع غيبة الإمام المهدىّ المنتظر .

والنسبة إليها « سامَرّىّ » ، وقد عُرف بهذه النسبة خلق كثير من محدِّثين وقرّاء وغيرهم .

وأخبار سامرّا فى الأدب والشعر مستفيضة (١) .

وكأنى أرى أن « سامرّا » تحمل فى بنائها الصيغة الآرامية فى انتهائها بالألف . وأما ما قيل من صور تسميتها فذاك شىء ولّده استحسان الشعراء والناس الذين سكنوها وارتضوا إقامتهم فيها فقالوا : سُرَّ مَن رأى ، وغيرها .

---

(١) أقول : ولى فى هذا كله مصنَّف وسمته بـ « إعلام الوَرَى فيما نُسِبَ إلى سامَرّا » طبع دار الحكمة بلندن .

٣٠ - سِنجار :

قال ياقوت : سنجار ، بكسر أوّله وسكون ثانيه ثم جيم وآخره راء ، مدينة مشهورة من نواحى الجزيرة بينها وبين الموصل ثلاثة أيام . وهى فى لِحْف جبل عالٍ .

ويقولون : إن سفينة نوح - عليه السلام- لما مرَّت به نطحته ، فقال نوح : هذا سِنّ جبل جار علينا ، فسُمِّيت « سِنْجار » .

قال ياقوت : ولستُ أحقّق هذا والله أعلم به .

وقال ابن الكلبى : إنما سُمِّيَت سنجار وآمد وهِيت باسم بانيها .

وقال حمزة الأصبهانى : « سنجار » تعريب « سِنكار » (١) ، ولم يفسّره .

وهو مدينة طيبة فى وسطها نهرٌ جارٍ .

وقيل : إن السلطان سنجر بن ملكشاه بن ألب أرسلان بن سلجوق وُلِد فيها فسُمِّى باسمها عن الزمخشرىّ .

وقد خرج منها جماعة من أهل العلم والأدب والشعر .

وقد نُسب إليها جماعة من أهل العلم من أهل عصرنا منهم أسعد بن يحى بن موسى بن منصور الشاعر ويعرف بالبهاء السنجارىّ .

أقول : و « سنجار » اليوم بليدة بلحف الجبل كما ذكر ياقوت من موضعها ، وأهلها أكراد مسلمون وبينهم نصارى من أصول سريانية شرقية يطلقون على أنفسهم «الكلدان» . وأضيف أن من نُسب إلى سنجار أبو محمد الأمير حسن بن الأمير يوسف الملقّب بـ « المكزون السنجارىّ » المتوفى سنة ٦٣٨ هـ (انظر تاريخ العلويين للطويل) .

٣١ - شِهرزوُر :

قال ياقوت : شهرزور كورة واسعة بين إربل وهَمَذان ، أحدثها زَور بن الضحّاك . و «شِهْر» بالفارسية المدينة .

وأهلها أكراد . وقد خرج منها العلماء وأعيان الفضلاء والفقهاء ، يفوقون الحصر . وكثير من أولئك نسبوا إليها واشتهروا بـ « الشهرزورىّ » .

---

(١) لقد حقّقت فى قول حمزة هذا فى معجمات اللغة الفارسية فلم أجده ، وكأنى أميل إلى أن أهل المعرَّب من العلماء العرب لم يكن لهم معرفة حسنة بالفارسية على قربهم منها . ونسبة حمزة إلى أصبهان لا تعنى شيئاً ، وقد تأكدت أن ابن الجواليقى لا يعرف الفارسية وإن شمّر فى أقواله ، ونسب ألفاظاً كثيرة إليها لم تكن فارسية .

٣٢ - صَيـدا (أبو صَيدا) :

أقول : هى بليدة صغيرة على نهر ديالى تُعرف بـ (أبو صَيْدا) . و « صَيـدا » هذه نظير الاسم نفسه « صَيْدا » من حواضر بلاد الشام المشهورة التى تكون فى عصرنا فى جنوبىّ لبنان وهى « باصَيْدا » و « با » كما بيّنا فى « با عشيقا » و « با عقوبا » تَعنى «البيت» وعلى هذا تكون « باصَيدا » تفيد «بيت الصيد» . والمدينة على هذا تحمل الصيغة الآرامية .

أقول : والعرب من أهل اللغة والتاريخ ذهبوا إلى تفسير مادة « صيداء » يعنى الحجر الأبيض تُعمَل منه البرام « جمع برُمة » ، كما فسروا البصرة والكوفة أنها تربة وحجارة رخوة ونحو هذا ، وليس لنا أن نقبل هذه التفسيرات .

٣٣ - عـانة :

قال ياقوت : « عانات » بليدة فى أعلى الفرات .

قال الكلبى : قُرى « عانات » سُمِّيت بثلاثة إخوة من قوم عاد . قال الأعشى :

كأنَّ جِنّيا من الزنجبيل خالط فيها ، أو ارْيّاً مَشورا .

وإسْفِنْط عانَةَ بعد الرقاد شكّ الرصاف إليها عذيرا .

وقال : قلعة حصينة على الفرات .

أقول : قد تكون الفائده قليلة لنا ، نحن الدارسين ، ونحن ننظر فى أقوال المتقدمين كالكلبى والشرقى بن القطامى وغيرهما . ولنا أن نعرف أنها « عانة » و «عانات» ، وقد عرفت « هانا » فى العهد البابلى القديم .

وهى « أناتا وأناتو » فى المصادر اليونانية الرومانية .

أقول : إن الذى ورد فى مصادر الإغريق من أنها « أناتو أو أناتا » هو معروف فى الأكدّية البابلية والرسم المسمارى للهمزة والعين واحد ، وقد ظن نفر من أهل الآثار أن «العين» لا توجد فى الأبجدية الأكدية ، وهذا وهْم . وفى العربية الفصيحة « العانة » القطيع فى الحُمُر الوَحْشية ، قال الشاعر القديم :

وبينا هما عَنَّت على البُعد عانة

قد اكتَنزت لحماً وقد طُبِّقَتْ شَحْما

ولكننا نجد « عانا » السريانية تفيد «الضأن » (١) .

أقول : لعل بُلَيدة «عانة» قد سُمِّيت بهذا الاسم الذى يدلّ على الضأن !

---

(١) ربما اختلفت اللغات السامية فى المشترك من اللفظ بينهما كما كان فى «عانة» فهى فى الآرامية الضأن ، وفى العربية « حُمر الوحش » .

قلتُ : إن « الضاد » فى العربية يقابله العين فى الآرامية ، ولذلك كانت « البيعة » التى نُقلت من السريانية الآرامية بصوت العين لتعنى « بنية النصارى أو الكنيسة » ، وكان ينبغى أن تكون « بَيْضة لأنها فى الحقيقة =

وهى فى عصرنا بليدة على الفرات فى الجانب الأيسر ، وفيها جزر فى وسط النهر جُعِلت بساتين فيها نخِيل وأعناب .

وقد اقتضت مصلحة لبناء سُدّ على الفرات فى موضع هذه المدينة أن تُزال المدينة ويُرسَم لها موضع آخر يبعد عنها ، تجلب إليه مياه الفرات ، فزالت ويكاها أهلها ممن عرفوا الماضى وكيف عمروها وغرسوا نخيلها وشجرها وشقوا فى ذلك .

٣٤ - عين التمر :

قال ياقوت :

هى بلدة قريبة من الأنبار ، غربىّ الكوفة ، بقربها موضع يقال له « شِفاثا » ، منها يُجلَب القَسْب والتمر . فتحها المسلمون أيام أبى بكر الصديق على يد خالد .

أقول : نعم قد تقرب « عين التمر » من الأنبار فى سعتها القديمة التاريخية ، ولكنها الآن تابعة لمحافظة « كربلا » ، على طرَف البادية ، وهى بليدة صغيرة جداً .

أما قول ياقوت : بقربها موضع يقال له «شِفاثا» ، فصحيح ، وهذه الآن ناحية صغيرة يكثر فيها النخيل ، وماؤها من عيون يخالطه مركبات معدنية كالكبريت وغيره . وللعراقيين فى عصرنا مثل عامى ، يقولون : «ترجو العافية فى شِفاثا » [1] .

٣٥ - القلوجة :

قال ياقوت : الفلّوجة الكبرى والفلّوجة الصغرى قريتان كبيرتان من سواد بغداد والكوفة .

أقول : و « الفلّوجة » فى عصرنا مدينة عامر من محافظة الأنبار ، على الفرات يمر بها الذاهب من بغداد إلى دمشق براً . وكان الناس يبدلون من الفاء ثاءً .

٣٦ - كربلاء :

قال ياقوت : هى بالمدّ ، وهى الموضع الذى قتل فيه الحسين بن على - رضى الله عنه - فى طرف البرية عند الكوفة . فإما اشتقاقه فالكربلة رخاوة فى القدمين ، يقال : جاء يمشى مكربلاً ، فيجوز على هذا أن تكون أرض هذا الموضع رخوة فسميت بذلك . ويقال :كربلت الحنطة إذا هذَّبتها ونقَّيتها فيجوز على هذا أن تكون هذه الأرض منقّاة من الحصى والدغل ، فُسمِّيت بذلك .

= « قُبّة بيضاء اللون » . قال تعالى : « .. لَهُدِّمَت صَوَامِعُ وبِيَعٌ » .

(١) شفاثا هذه من الأصول الآرامية التى بقيت فى أسماء المواضع والمدن ، ولم أهتد إلى دلالتها .

وأورد ياقوت أن الحسين قال : ما اسم هذه الأرض التى نحن فيها ؟ قالوا : كربلاء ، فقال : أرض كربٍ وبلاء ! وأراد الخروج منها فمنع كما هو مذكور فى مقتله .

أقول : و « كَرْبَلاء » اليوم مركز محافظة كبيرة ذات بساتين فيها نخيل وشجر يسقيها نهر يدعى « الحسينية » يأخذ ماءه من دجلة .

أقول أيضاً : هى بالقصر فى اللغة الدارجة ، وهى كذلك فى لغة الشعر ، ومما ورد من ذلك فى لغة الشعر ما نسب إلى الشريف الرضى من قوله فى مطلع قصيدة طويلة :

كَرْبَلا لازلت كَرْباً وبَلا

ما لَقِى عندكِ آلُ المصطفَى

وقد وردت ممدودة فى قول الرباب بنت امرئ القيس ترثى الإمام الحسين :

إنّ الذى كان نوراً يستضاء به

بكربَلاءَ قتيلٌ غير مدفونِ

وكأنى أجعل الأصل هو لغة القصر «كَرْبَلا» وبذلك أستطيع أن ألحق هذه الكلمة بالأصول الآرامية فى أسماء المدن فيما بين النهرين وبلاد الشام .

٣٧ - الكوفة :

قال ياقوت : « كوفان » اسم أرض ، وبها سميت الكوفة . و« كوفان والكوفة » واحد والكوفة من أض بابل من سواد العراق . سميت لاستدارتها من قول العرب : رأيت كُوفاناً وكَوَفاناً .

وقيل سُمِّيت « كوفة » لاجتماع الناس بها ، من قولهم : تكوُّف الرمل .

وقد مُصِّرت فى أيام عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - سنة ١٧ هـ ، وقيل : سنة ١٨ هـ .

وقال قوم : إنها مُصِّرت بعد البصرة بعامين أى سنة ١٩ هـ .

قال أبو عبيدة : لما فرغ سعدُ من وقعة رستم بالقادسية .

أقول : لم يكن للدارسين الثقة التامة فيما سجله ياقوت وغيره عن الحواضر القديمة ذات الأصول التى سبقت تاريخ العرب والمسلمين ، فقد ذهبوا إلى شىء من القصص التى يختلط فيها التاريخ بالأسطورة . وقد ذهبوا أحياناً فى

الوصول إلى شىء يرضيهم بالرجوع إلى تأويل الكلم القديم بما يناسب العربية ، أو قل : إنهم وضعوا شيئاً فحملوا غيرهم عليه ، ألا ترى أنهم فسّروا البصرة والكوفة وصَيدا بشىء يتصل بالأرض والحجارة وبسطوا على كل من هذه لوناً يميزها !

أقـــــول : لابد لى أن أذهب إلى أن «الكوفة» « من الكلم القديم « كوفا » التى تومئ إلى الصيغة السريانية وأن العرب حين واجهوا هذا ومثلها باعقوبا وبعشيقا ، نظروا إلى الألف الأخيرة ، وهى فتحة طويلة مالوا إلى تأنيث هذه الألفاظ فأضافوا هاءً محتفظة بفتحة قبل الهاء على غرار المؤنّثات فى العربية فصارت : كوفة وبصرة وبعقوبة وبعشيقة . كما مالوا إلى هذا فى الكلمات الأخرى نحو سوريا [1] وتركيا وإيطاليا ، وفَرنسَا وغيرها ، وجعلوها : سوريّة وتركية وإيطالية وفَرَنْسة .

وكأنى أستدل على هذا الرأى فى «الكوفة» بما ورد فى مصادرنا فى فقيل كوثَى : موضع بسواد العراق فى أرض بابل ، وهى سُرّة السواد .

أقول : لابد أن يكون هذا الموضع أصلاً لـ «كوفا » التى تحوّلت إلى «كوفة» . وبين الثاء والفاء إبدال كثير فى العربية فقالوا : جَدَث وجَدَف ، وقالوا : ثآليل وفآليل . وعامة العراقيين يقولون «ثلّوجةً» للفلّوجة التى مرّ ذكرها . وسمعنا لدى القرويين من يقول : «فَلْج» للثلْج .

٣٨ المدائن :

قال ياقوت : هى عدّة مدن عراقية اسمها بالفارسية «توسفون» (طَيْسَفون) ، وهى بما يقرب من ٣٥ فرسخاً جنوبىّ بغداد . اتّخذها سعد بن أبى وقاص مقرًّا له فى فتح العراق . واتّخذها الفرثيون مَشْتَّى ، وأعقبهم الساسانيون فاتخذوها عاصمة .

أقول : فى هذه المدينة «طاق كسرى» أو إيوان كسرى الذين ورد ذكره فى سينيّة البحترى الشهيرة التى مطلعها :

«كوثَى[2]» أو «كوثا»

---

(١) قيل فى «سوريّا» إن هيرودتس الإغريقى حين مرّ بهذه المواضع حسبها «بلاد الآشوريين» فكانت لديه أشوريا أو أسّوريا ، ومن هذا جاء الاسم «سوريا» .

(٢) و «كوثى » من أسماء مكّة - حرسها الله - .

صُنتُ نفسى عـمـاً يُدَنِّسُ نفـسى

وتَرَفَّـعتُ عن جَـدا كلِّ جِـبْس

وفى هذه المدينة : قبر الصحابى سلمان الفارسى ، ويطلق عليه العراقيون كما يطلقون على البليدة كلها «سلمان پاك» و « پاك » هذه تعنى « النظيف والطاهر » بالفارسية . وبقى « سلمـــان ياك » هو المعـــروف فى التنظيمات الإدارية ، ثم اجتهد أولو الأمر فأعادوا كلمة «المدائن» إلى هذه البليدة كما أعادوا أسماء قديمة أخرى لحواضر كثيرة مرّت بنا فى هذا «الموجَز» .

٣٩ - المَوْصِل :

قال ياقوت : الموصل إحدى قواعد الإسلام ، قليلة النظير كِبَراً وعِظَماً وكثرةَ خَلْق وسَعَة رُقعة . وهى باب العراق ، ومنها يُذهب إلى خراسان ، ومنها يُقصَد إلى أذربيجان لأنها وصلت بين الجزيرة والعراق ، وقيل : وَصَلت بين دجلة والفـرات ، وقـيل وصلت بين سنجـار والحديثة .

مركز محافظة كبيرة اختير لها الاسم الآشورى القديم «نَيْوَى» التى تشمل عدة مدن وحواضر وقرى .

ولابد من القول فى نبذة موجزة عن «نَيْنَوَى» فأقول :

هى عاصمة الآشوريين فى الألف الأول قبل الميلاد التى ورد ذكرها فى سفر التكوين من العهد القديم وقد أشير إلى نمرود الذى أسّسها فى سهل «شنعار» . وهناك إشارات أخرى إلى هذه الحاضرة فى سفر ناحوم من أنبياء بنى إسرائيل .

ولم أهتدِ إلى معرفة معنى «نينوى» فيما بين يدى من مراجع يسيرة ، ولم يُشر الغربيون إلى هذا وهم يبحثون وينقبون فى آثار الآشوريين ومدينتهم هذه « Ninive » .

أقول : وقد خرج من الموصل جمهرة من أهل العلم ، ونُسب إليها عدد كبير منهم [1]

وللموصل شهرة حضارية عرفت فى فنون الصناعات ومنها صناعة النسيج . وحديث «موصلايا» ودلالتها معروفة .

٤٠ ميَسان :

قال ياقوت : هو ، بفتح فسكون وسين مهملة وآخره نون ، ، اسم كورةٍ واسعة كثيرة القرى والنخل بين البصرة وواسط ، قصبتها ميسان .

أقول : هى فى عصرنا حاضرة مهمة ذات قيمة تاريخية واقتصادية ، وهى أمّ الربيعين

---

(١) كان من منشورات المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية كتاب مفيد هو «تاريخ الموصل » .

وفى هذه الكورة أيضًا قرية فيها قبر «عُزَير» النبىّ - عليه السلام - مشهور معمور ، يقوم بخدمته اليهود ، ولهم عليه «وقوف» وتأتيه النذور ، وأنا رأيته . ويُنسَب إليه «مَيْسانِى ومَيْسْنانى» . وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطّاب ، لمّا فتحت مَيْسان فى أيّامه ولاّها النعمان بن عدى بن نَضْلة بن عبد العُزّى بن حُرثان ..... وكان من مهاجرة الحبشة ، ولم يُوَلِّ عُمر أحداً من بنى عَدىّ ولايةً قطّ غيره لما كان فِى نفسه من صلاحه .

وأراد النعمان امرأته معه على الخروج إلى مَيْسان فأبَتْ عليه فكتب النعمان إلى زوجته :

ألا هل أتى الحسناءَ أنّ حليلَها
بَميْسانَ يُسقَى فى زجاجٍ وحَنْتَمِ
إذا شئت غَنَّتنى دهاقين قَريةٍ
وصَنّاجة يجثو على حَرْف مَنْسِمِ
فإنْ كنتَ نَدمانى فبالأكبَرِ اسْقِنِى
ولا تَسْقِنِى بالأصغر المُتَثلِّمِ
لعلّ أمير المؤمنين يَسوءُه
تَنادُمُنا بالجَوْسَقِ المُتهدِّمِ

فبلغ ذلك عمرَ ، فكتب إليه :

بسم الله حم تنزيل الكتاب من الله العزيز غافر الذنْب وقابل التَّوْب شديد العقاب ... أما بَعدُ فقد بلغنى قولك : «لعلّ أمير المؤمنين يسوءُه» وايمُ الله ، لقد ساءنى ذلك ، وقد عزلتك .

أقول : وقد أطلق اسم مَيْسان فى عصرنا على القرية الصغيرة التى فيها قبر « العُزَير» نبىّ الله - عليه السلام - . لقد كان هذا قبل مايقرب من خمسين سنة . ثم تنبّه أهل الرأى إلى ما كان منهم فعادوا إلى الاسم ونزعوه عن القرية وأطلقوه على رقعة واسعة جداً وجعلوه محافظة مركزها مدينة «العمارة» على الجانب الشرقىّ من دجلة بين واسط والبصرة .

٤١ - التّجَف :

قال ياقوت : بظهر الكوفة كالمسنّاة ، تمنع مسيل الماء أن يعلو الكوفة ومقابرها . وبالقرب من هذا الموضع قبر أمير المؤمنين - رضى الله عنه - على بن أبى طالب . وقد ورد ذكر الموضع فى الشعر ولاسيما حين يعرض الشعراء لرثاء الإمام ، قال على بن محمد العلوىّ المعروف بـ «الحِمّانِىّ الكوفِىّ» .

فيا أسَفِى على النَّجَف المُعَرَّى
وأوديةٍ منوّرة الأقاحى

أقـول : وكـانت مـدينة النجف تابعـة لمحافظة «كَرْبلا» ، ثم رأت الحكومة أن تجعلها محافظة لمكانتها الدينية والعلمية ، كان هذا منذ ما يقرب من ربع قرن .

٤٢ - نينوى :

انظر « المَوْصِل » .

٤٣- هيت :

قـال ياقـوت : هى بُليـدة على الشـاطىء الغـربى من الفـرات فى الرقـعـة الواسـعـة التى دُعيت «الأنبار» .

وقـد عُرفت بـ «القـار» وهو المعـروف لدى أهل الصنعة .

أقول : وهذه المدينة هى التى ذكرها المعرّى فى شعره :

هاتِ الحـديثَ عن الزوراء أو هِيـتـا
وموقد النار لا تكرى بتكريتا .

٤٤ - واسـط :

قال ياقوت : هى عدة مواضع منها :

واسط الحـجّاج وهو أعظمـهـا وأشـهـرها ، سُميّت لتوسُّطها بين البصرة والكوفة .

أقول : لم يكن معروفًا أمر واسط قبل ربع قرن إلا فى أطلالها وبقاياها فى حجارة وجدد مـتـنـاثرة بعـيـداً عن نهـر الفُـرات ببـضـعـة كـيلومـترات . غـير أن أولى الأمـر - جريًا مع سـيـاسـتـهم التنظيـمـيـة فى الحـواضـر والمدن - أعـادوا هذ الاسم إلى المنطقة التى كانت تعرف بـ «لـواء الكوت[1] » أو مـحـافظة الكوت فِى منتـصف الطريق بين بغـداد والبصـرة ، فـكانت «محافظة واسط» .

خـــاتمـــة

هذا مـوجز بالأعـلام الجغـرافيـة فى العـراق جعلتـه إلى أهم الأعلام ذات الأصـول الجغـرافيـة التـاريخـيـة ومـاعـرض لهـا فى مـسـيـرتهـا التـاريخية، وقـد ابتعدت فيـه عن المشهور مثل « بغداد » وغيرها لكثرة ما كتب فيها .

إبراهيم السامرائى

عـضو المجمع من العـراق

---

(١) «الكُوت» حاضرة حديثة أنشأها الناس حول ماكان «Cot» فى الإنكليزية وهو المنزل الصغير الذى أقامه الإنكليز فى القرن التاسع عشر نقطة ومركزاً لهم على طريق الهند ، وهذا المنزل نظير «كُوت الزَّين» و«كوُت الإمارة» وغيرها . ولابد أن يكون أوّل قيام «الكويت» هذا .